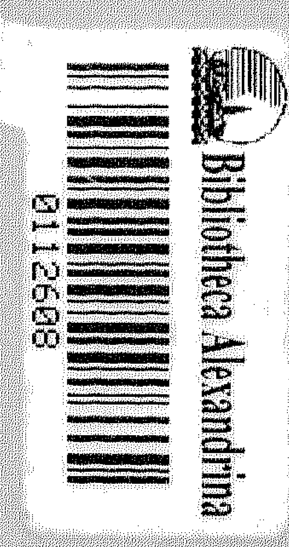
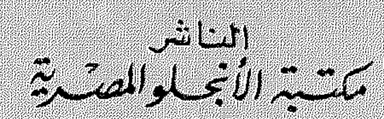
الفكر الجغرافي

الدكتور/ محمود أبو العلا
جامعة الأزهر




الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية



الدكتور / محفود أبو العلا

(جامعة الأزهر)

الطبعة الأولى

١٩٩٧ - ١٩٩٨

اسم الكتـــاب : الفكر الجغرافي

المـــؤلـــف : الدكتور / محمود أبو العلا

الناشـــــر: مكتبة الأنجلو المصرية

تليفون: ٣٩١٤٣٣٧ / فاكس: ٣٩٥٧٦٤٣ (٠٢)

رقم الإيـــداع : ٩٧/١١٦٥٩

ترقيم دولـــي : (I . S . B . N . 977 - 05 - 1572 - 8)

تصميم الغلاف : الفنان / محمود القاضي

طبـــاعـــة : دار اللـــواء للطباعة - تليفون: ٢٧٩٢٩٤٨ - ٢٨١٦٧٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتيب عن الفكر الجغرافى يضم بين جنباته تطور الفكر الجغرافى خلال العصور من القرن الخامس قبل الميلاد وحتى نهاية القرن العشرين فى أسلوب سهل يبرز خصائص هذا الفكر والعوامل المؤثرة فيه وكذلك اختلافه بين دولة وأخرى فى أوروبا وأمريكا.

أنه الطواف الجغرافى الذى ينير الطريق أمام الدراسات الجغرافية والبحث فى فروعها المختلفة.

والله ولى التوفيق ،،

دكتور محمود أبو العلا

الجيزة – سبتمبر ١٩٩٧

مقدمـة

تعريف علم الجغرافية

(١) تعريف Hettner : دراسة الروابط المتباينة للظاهرات ١٨٥٩/١٩٤١

DiFFErential associations of phenomena

ويرى أنه لاتوجد أى حدود بين الدراسات الطبيعية والبشرية أو ما بين الاقليمية والدراسات العامة.

(٢) فريدريك راتزل ١٨٤٤/١٩٠٤ تعريف الجغرافية بأنها دراسة العلاقة الثنائية المتبادلة بين الانسان والجغرافية الطبيعية.

الدراسة الاقليمية هى دراسة landscape and landschaft

ويرى العلماء الألمان أن هدف هذه الدراسة الجغرافية دراسة اللاند شافت

ويرى Dicknison فى بحثه عام ١٩٣٩ أن على الجغرافيين الانجليز أن يدرسوا landscape وهو أهم أهداف الدراسة الجغرافية.

(٣) ويرى E.W. Gilbert إن الجغرافية تُعرَّف بأنها العلم الذى يدرس الحدود بين الأقاليم وشخصياتها التى تتميز بها - بحث ذكر فى كتاب

Taylar G

Geograhy in the Twentieth Centuiy

وأن الدراسة الاقليمية هى قمة الدراسات الجغرافية

(٤) الجمعية الجغرافية البريطانية: الجغرافية هي العلم الذي يصف سطح الأرض مع الاشارة إلى اختلافات سطح الأرض والعلاقة بين أجزاء هذا السطح.

(٥) وفي قاموس الكلية الأمريكية بعد مشاورة Hartshorne يذكر أن الجغرافيه هي دراسة الاختلاف في سطح الأرض كما يرى أثر المناخ والسطح والتربة والنبات والسكان واستغلالهم الأرض والصناعات وأثر هؤلاء جميعا في أسباب هذا الاختلاف.

(٦) أما الجمعية الجغرافيه الامريكية فتعرف الجغرافية بأنها ترابط الظواهر التي تعطي مميزات لأماكن معينة تجعلها تختلف أو تتشابه مع أماكن أخرى.

يجمع Whittlessey بين النظرتين من الجانبين على أساس Compagl.

(٧) الجغرافية هي علم التكيف البشري The science of human ecology لأن التبيؤ Ecosystem يجمع البيئة الطبيعية والانسان والنبات والحيوان في إطار واحد.

(٨) يقول Hartshorne الجغرافية هي وصف سطح الأرض وأن أهم هدف للجغرافيه دراسة اختلاف سطح الأرض على مستوى العالم وهذا ما تعبر عنه الجغرافية الاقليمية وهذا ما ذكره في كتاب The Nature of Geography عام ١٩٣٨ p.55 وفي عام ١٩٥٩ اصدر بحثا يخالف فيه موقفه عام ١٩٣٨ ويبدى الاهتمام بالدراسة المنهجية .

الفكر الجغرافى

دراسة فى عرض الفكر الجغرافى بمحتواه الفلسفى والموضوعى منذ القرن الخامس قبل الميلاد حتى القرن العشرين، فهى دراسة جمعت الفلسفة وتطورها خلال العصور مع صلات الجغرافية المتعددة بالعلوم الأخرى ولهذا يسمونها أم العلوم The Mother Of Sciences.

إن المعرفة الجغرافية ذات أصول عريقة تعود إلى أقدم حضارات الإنسان وعمر الجغرافية كموضوع مميز الشخصية على مدى ٢٥٠٠ عام.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الفكر الجغرافى الحديث هو وليد جهود فلاسفة الجغرافية وخلاصة أبحاثهم للمائة سنة الأخيرة أويزيد.

نشأة الفكر الجغرافى وتطوره عبر العصور

أولاً: الفكر الجغرافى الكلاسيكى (القديم):

قبل أن نعرض لهذه الدراسة تجدر الإشارة إلى أن كلمة جغرافية كلمة غير عربية، بل هى كلمة يونانية من مقطعين:

الكتابة graphein ، الأرض Ge

ومعنى الكلمتين، الكتابة عن الأرض أو وصف الأرض أى أن الفكر الجغرافى القديم يتعلق بالفلاسفة والكتاب الإغريق.

ومن المعلوم أن وصف البلاد أو وصف جهات الأرض جاء به الرحالة الإغريق.

وفي القرن الخامس قبل الميلاد كتب هيرودوت وهو مؤرخ وعالم إغريقي عن وصف الأماكن والبلاد التى زارها فقد كتب عن الأقطار التى زارها فى شرق أوروبا وغرب آسيا وشمال أفريقيا.

لقد شغل شكل الأرض الفكر الإغريقى كنمط من أنماط الفلسفة ليتعرف الإنسان وضعه فى هذا الكون وقد إعتبر بعض فلاسفة الإغريق، أن الأرض قرص مستدير تحيط به المياه من جميع الجهات ثم جاء أنكسماندر Anaximander وشبه الأرض بإسطوانة تطفو وسط تكوين غازى مستدير.

إلا أن فكرة كروية الأرض لم تظهر إلا فى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد عندما نادت بها مدرسة فيثاغورث والتوصل إلى فكرة كروية الأرض أدت بالفكر الإغريقى إلى تقسيمها إلى عدد من خطوط العرض أو Klimata وقام الفيلسوف بارامانيدس Paramanides. بتمييز خمس نطاقات على سطح الأرض:

- نطاق حار فى الوسط.
- نطاقان متجمدان فى أقصى الشمال والجنوب بينهما نطاقان معتدلان.

وكان مركز الإهتمام يتركز فى النطاق المعتدل الشمالى، وهو النطاق المعمور حيث توجد «أثينا» وكانوا يسمون هذا النطاق المعمور باسم «العالم المأهول» Ecumene، وهذه أول محاولة لتنظيم الأقاليم على سطح الأرض وإعطائها الخصائص التى تميز بعضها عن بعض، على أن أكبر خطوة خطتها المعرفة الجغرافية ما قام به ايراتوستين Eratosthenes فى ألاسكندرية فى القرن الثالث قبل الميلاد، إذ ألف كتابا أسماه «الجغرافية Geographiea» بهذا يصبح هذا العالم أول من ألف كتاباً أسماه «الجغرافية».

إن هذا الفيلسوف خطا بالجغرافية نحو الأمام بقياس محيط الأرض عن طريق ملاحظته فرق درجة سقوط أشعة الشمس بين أسوان الأسكندرية وقد كان قياسه من الدقة بحيث لم يختلف كثيرا عن القياسات الحديثة لمحيط الكرة الأرضية، ولو عرف «إيراتوستين» المسافة بالدقة بين أسوان والأسكندرية لأصبح قياسه لمحيط الأرض لايختلف عن القياسات الحديثة فقد قدر هذا الفيلسوف أن محيط الأرض ٢٥٠,٠٠٠ ستاديا (الإستاديا = ٢٠٢ ياردة أو ٦٠٦ قدم) ولايعرف يقينا طول Stadia فى عهده وفى النهاية زاد تقديره لمحيط الأرض عند خط الاستواء بمقدار ١٥٪ .

وقد عارض الفلاسفة الإغريق الذين أتوا بعده هذا القياس لمحيط الأرض محاولين تخطئته مثل بطليموس فى القرن الثانى الميلادى.

أما الفلاسفة الإغريق الذين كتبوا عن النواحي الجغرافية بعد ايراتوستين:

فى القرن الثانى قبل الميلاد	Hipparchus
فى القرن الثانى قبل الميلاد	Posidonius
فى القرن الثانى قبل الميلاد	Polybius
فى القرن الثانى قبل الميلاد	Artemidorus

اندثرت كتاباتهم وضاعت فى أوروبا بعد إنهيار الدولة الرومانية فى القرن الخامس الميلادى، ولكن الكتابات والمذكرات الجغرافية التى تركها هؤلاء الفلاسفة الجغرافيون قد كتب عنها الإغريقى الجغرافى الفيلسوف سترابو Strabo.

سترابو الجغرافى الإغريقى Strabo:

ولد عام ٦٣ ق.م وتوفى عام ٢٣ ميلادية. لقد مكث سترابو فى روما حتى ٣١ ق.م حيث كتب موسوعته الجغرافية التى تغطى الفترة من عام ١٤٥ ق.م حتى استيلاء الرومان علىً بلاد اليونان والتى تتكون من ١٧ جزء سميت Geographical Sketches.

وفقا لما يلى :

أ- الجزءان الأولان أو الكتابان الأولان اشتملا على أهداف ووسائل الجغرافية Aims and Methods وذكر سترابو اشارات أوتعليقات فى

كتب عن الفلاسفة الجغرافيين الأغريق التي اندثرت كتاباتهم ولم يعرف عنها شيئا إلا عن طريق ما ذكره استرابو عنهم خلال الكتب من الأجزاء من الثالث حتى السادس واشتملت على وصف ايبريا وايطاليا وقد اعتمد Strabo في وصفه لهذه البلاد على كتابات الجغرافي الاغريقي ارتيميدورو Artemedoru الذي ولد عام ١٤٠ ق.م والذي ألف كتابا وصفيا عن رحلته حول الأرض المعمورة Inbabited Earth

وفي الكتاب أو الجزء السابع تناول بالوصف نهر الدانوب والسواحل الأوروبيـة للبحر الأسود.

وفي كتبه الثامن والتاسع والعاشر احتوت وصفا لبلاد اليونان معتمداً في كتبه على الوصف الذي ذكره في كتبه ارتيمودورس Artemidorus.

وفي الأجزاء الحادي عشر والثان عشر والثالث عشر والرابع عشر وصف السواحل الأسيوية للبحر الأسود والقوقاز وشمال ايران وآسيا الصغرى. وفي كتابه الخامس عشر وصف لفارس والهند. وفي هذه الاجزاء من كتبه اعتمد على المعلومات المستمده من المؤرخين الاغريق المصاحبين لحملة الأسكندر الأكبر ٣٣١ - ٣٢١ ق.م وقد وصف أيضا العراق وسورية وفلسطين والبحر الأحمر في كتابه السادس عشر.

وفي كتابه السابع عشر قام بوصف مصر والسواحل الأفريقية للبحر المتوسط كما كتب عن موريتانيا أيضا

ومما تجدر الاشاره إليه بأن المعلومات التى ذكرها سترابو فى كتبه كانت على درجه كبيرة من الدقه كما ذكرت أيضا بأن اهتمام الجغرافى يجب أن يعالج أهمية الموقع والترابط المتبادل بين مختلف الأماكن على سطح الأرض باعتبارها جميعاً أجزاء من كل وقد قال سترابو أن فكرة المكانَ تكونها المزايا الطبيعية التى يملكها ذلك المكان ضمن اطار العلاقة بالأماكن الأخرى على سطح الأرض.

إن اهتمام الجغرافية بالوصف الدقيق والمترابط لسطح الأرض لاسيما المأهول منها جعل المكان وهو مجال البحث الجغرافى ذات أهمية كبرى وأصبح له مدلولان: المدلول الفلكى الذى يوضح علاقة المكان تبعاً لموقعه من خطوط الطول والعرض، والمدلول الجغرافى الذى يوضح علاقته بالأماكن الأخرى، فى هذا المستوى من الفكر الجغرافى جاء بطليموس الاسكندرى الاغريقى فى القرن الثانى بعد الميلاد ليؤلف كتابه المسمى «الدليل فى الجغرافيا "Geographike Huphegesis" وقد خطا بها الفكر الجغرافى خطوة واسعة لأنه جمع فيه خلاصة الفكر الجغرافى الأغريقى عن الأرض ووصفها وتحديد أماكنها ثم وضعها على خريطة بحسب مواقعها من خطوط الطول والعرض ثم اتبعه بوصف مستفيض لهذه المواقع ميز فيه بين:

أ- الوصف الكلى للأرض «أى الجغرافى» Geographic

ب- الوصف الاقليمى المترابط Chorographic.

جـ- الوصف التفصيلى المكانى Topographic

ويعتبر مؤلف بطليموس هذا فى غاية الأهمية لأنه لم يظهر بعده ولفترة طويله من الزمن أى جهد آخر أضاف شيئا جديد إلى الفكر الجغرافى.

وهو يعتبر خاتمة جهود الفكر الجغرافى الكلاسيكى القديم الذى إنتهت فترته التاريخية بسقوط الإمبراطورية الرومانية فى القرن الخامس الميلادى.

ثانياً: الفكر الجغرافى الوسيط

تأثر الفكر الجغرافى خلال القرون الوسطى بأمور هامة:

أ- سيطرة الظلمة أو البربرية على أوروبا وإنحسار المسيحية إلى الصوامع والأديرة وأخذت معها ما تمكنت من جمعه من تراث الفكر الكلاسيكى. أى أن الفكر الجغرافى تولاه رجال الدين، وأبرز التأثير الدينى فى الفكر الجغرافى ماظهر فى رسم الخرائط، إذ كانت ترسم الأرض بشكل مستطيل تتوسطها القدس مركز الإهتمام الدينى وتوضع الجنة إلى شرقها.

ب- فى الشرق وفى بلاد العرب برز نور الإسلام وقد إتسعت رقعته من الصين غربا حتى سواحل البحر المتوسط شرقا، وإلى الأقاليم الإستوائية جنوبا.

ومعنى ذلك أن المعرفة تقلصت فى أوروبا ولكنها بزغت فى الشرق والجنوب فى آسيا وأفريقيا، أى أن التراث الإنسانى وإن تدهور فى أوروبا ولكنه ظهر وإزدهر بظهور الحضارة العربية. وبذلك يصبح المفكر الجغرافى العربى هو الممثل الصحيح للفكر الوسيط وليس المفكر الأوروبى المنحسر.

الفكر الجغرافي العربي

- البيئة الطبيعية في شبه جزيرة العرب، والتي تجمع بين الجفاف وشدة الحر وبرد الشتاء. ثم إشتغال البعض منهم بالرعي والتنقل وراء حيواناتهم بحثا عن الماء والكلأ، وإشتغال البعض الاخر بالتجارة.

لهذا كان عليهم أن يتعرفوا على مواقع الأماكن التي يقصدونها وعلى خصائصها وعلى المسالك التي يسلكونها في حركتهم وتنقلهم، لهذا كانت لديهم مهارة في التعرف على النجوم وأبراجها أو ربط ذلك بأحوال المناخ وتغيير الفصول ولهذا تفوقوا في علم الفلك، حتى قبل أن ينقلوا إلى لغتهم مصنفات الهند وفارس.

ولما جاء الإسلام وتوسعت رقعة إنطلاقه شرقا وغربا وشملت بعض البلاد التي كان لها حضارات قديمة مثل مصر وفارس والعراق، كان هذا سببا هاما لنمو المعرفة الجغرافية عندهم. ثم جاءت عملية الجزية وجمع الخراج وهذا يقتضي التعرف على البلدان المختلفة لتعيين نصيب الفرد من هذه العوايد، ثم كان الحج وكان على المسلمين أن يعرفوا المسالك التي تؤدي إلى مكة ثم كان النشاط التجاري بين أجزاء الدولة الإسلامية فأدى إلى ظهور الكثير من المصنفات والمؤلفات وكانت عليها مسحة جغرافية ثم تطورت بعد ذلك وأخذت ثوبا جغرافيا.

ثم بدأت عملية النقل والترجمة من الهندية والفارسية واللاتينية، وكانت الجغرافية من بين العلوم التي تأثرت بظهور هذه الترجمات لاسترابون وبطليموس فظهرت المؤلفات ذات الأسماء الجغرافية المختلفة.

فما كان منها يهتم بالأرض كان يحمل عنوان أو رسم صورة الأرض، وما كان يتعلق بالفلك كان يحمل اسم «تقويم البلدان»، وما يتعلق بالوصف الخاص كان يحمل إسم «المسالك والممالك»

اتخذ التاليف الجغرافى الإتجاه التطبيقى العلمى الذى يجعله يختلف عن الإتجاه الفلسفى الذى طبع الفكر الإغريقى، لهذا يقول المقدسى فى مقدمة كتابه (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم).

«وعلمت أنه باب لابد منه للمسافرين والتجار ولاغنى عنه للصالحين والأخيار. إذ هو علم ترغب فيه الملوك والكبراء ويطلبه القضاة والفقهاء وتحبه العامة والرؤساء وينفع كل مسافر ويحظى به كل تاجر».

اتجاهات الفكر الجغرافى العربى الوسيط

لقد تعددت الأغراض من المناهج التى كتبت بها المؤلفات الجغرافية العربية يمكن إيجازها فيما يلى:

١- الجغرافية الفلكية والرياضية:

سبقت الإشارة إلى الجذور الأصولية لعلم الفلك قبل الإسلام ثم قيام هذا العلم بعد عملية ترجمة من العلوم الأخرى من الهند وفارس إذ نقلوا الجداول الفلكية عنهما.

ومن العرب البارزين فى هذا المجال «الخوارزمى» الذى إشتهر فى عصر المأمون، الذى وضع جداول فلكية خاصة أسماها (السندهند الصغير) وألف كتابه المسمى (رسم الأرض) فيه مركز كل مكان على سطح الأرض المعروف أى الأمكنة المعروفة من سطح الأرض نسبة إلى خطوط الطول والعرض، ثم «الغزارى Ghazari » الذى تبنى الأسس الهندية فى وضع الجداول الفلكية غير إنه إستبدل النظام الهندسى فى حساب السنين بالنظام القمرى الذى لازال يستعمل حتى الآن ومما تجدر الإشارة إليه أن ترجمة كتابات «هيباركس» و«بطليموس» جعلت التأثير الإغريقى فى الفلك والرياضة يطغى على التفكير العربى، ومن أمثلة ذلك كتاب ابن خرداذبة «المسالك والممالك» ويقول فى كتابه هذا «وجدت بطليموس قد أبان الجنور، وأوضح الحجة فى صفتها بلغة أعجمية فنقلتها عن لغته باللغة الصحيحة.

٢- جغرافية الوصف:

إهتمام العرب بالنواحى الوصفية كان نتيجة طبيعية لتوسع الدولة الإسلامية، ونتيجة أيضا لقيام العرب بالأسفار والرحلات بدافع الرغبة فى معرفة أحوال البلاد وسكانها . ولهذا طغى أدب الوصف الجغرافى على نواحى المعرفة الجغرافية الأخرى، وأصبحت هذه الدراسة تطوير للدراسة الأغريقية، وكانت هذه الدراسة على مستويين:

أ- الدراسة الإقليمية العامة وذلك بالنسبة للعالم المأهول آنذاك.

ب- الدراسة الإقليمية الخاصة الذى تناول البحث فيه اقليما بذاته مثل كتاب «صفة جزيرة العرب».

ومن بين المؤلفات العامة كتاب المقدسى «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم»

ومن بين المؤلفات الخاصة كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى وهنا لابد من الاشارة إلى كتب الرحلات ومن أبرزها رحلة ابن بطوطة وهى حصيلة تجوال فى أنحاء العالم استغرقت ثلاثين سنة قطع فيها ٧٥٠٠٠ ميل، وقد اتجهت الرحلة إلى وصف كثير من الحقائق عن البلاد التى زارها كما اشتملت على كثير من الوصف الخيالى للعجائب التى رآها . وهو أول من عالج ظاهرة الأمطار الموسمية فى اليمن والحبشة والهند.

إن الوصف الجغرافى العربى دراسة فى الجغرافية التاريخية عبر حُقْبة من الزمن إذ أنها تعتمد على الوثائق المسجلة وكتب التاريخ.

٣- التفسير والتعليل الجغرافى:

اهتم العرب أيضا بتعليل وتفسير الظاهرات المختلفة سواء تلك التى شاهدوها أو شاهدها غيرهم، ثم قاموا بايجاد العلاقة بين الانسان والبيئة التى يعيش فيها.

فقد ذكر المسعودى فى كتابه مروج الذهب «أما الجبال فتخشن الأجسام وتغلظها لما هى عليه من غلظ التربة ومتانة الهواء وكل بلد اعتدل هواؤه كانت صور أهله وخلائقهم تناسب البلد الذى يعيشون فيه».

أما فيما عدا هذه الميادين فإن جهود العرب الجغرافية قد زاد كثيرا عما ورثوه عن التراث الكلاسيكى القديم. وفى رسمهم للخرائط أكدوا على أقاليم العالم الإسلامى وجعل مكة تتوسط خريطة العالم وجعل الجنوب مكان الشمال وبالعكس وذلك ضمانا لجعل الأماكن المقدسة تحتل أعلى الخريطة.

إن الفكر الجغرافى العربى الذى إستمر مزدهرا حوالى خمسة قرون قد أخذ يؤذن بالزوال بعد تقلص السيادة العربية بعد ضعف الخلفاء العباسيين. ثم أخذت أوروبا تفيق من كبوتها فى القرن الرابع عشر إذ دخلت عصر النهضة ثم بدأ عصر الإستكشافات الجغرافية الكبرى فى القرن الخامس عشر، لقد أدى عصر النهضة الذى بدأ فى إيطاليا إلى إحياء العلوم الكلاسيكية ومنها الجغرافية.

الجغرافية فى عصر النهضة
والإستكشافات الجغرافية

حركة النهضة الأوروبية Renaissance:

أخذت تدب فى أوروبا منذ القرن الرابع عشر النهضة فعملت على إحياء العلوم الكلاسيكية وشجعت قيام المجامع العلمية. وقد شهدت الفترة الأخيرة من القرن حدثين هامين:

أ- عبر المحيط الأطلسى وإكتشاف أمريكا من قبل كولمبس وبإسم أسبانيا.

ب- إكمال إرتياد المحيط الهندى حول رأس الرجاء الصالح والوصول إلى الهند بقيادة فاسكو دى جاما بإسم البرتغال.

إن فكرة إنتصار أسبانيا على العرب فى الأندلس حفزتهم للإندفاع فى آفاق جديدة لما وراء البحار.

وقد إستمرت حركة الإستكشافات هذه ثلاثة قرون. وعندما قارب القرن الثامن عشر على الإنتهاء كانت قارات العالم وبحاره قد عُرفت تماما وبذلك تم حل لغز الفكر الجغرافى الكلاسيكى، عن ماهية بقية أجزاء العالم المعمورة، وبقى على العالم أن يتعرف على المحتوى الداخلى لهذه القارات.

لهذا بدأ الفكر الجغرافى إعادة كتابة الجغرافية وعمل خريطة للعالم بشكل آخر تجعلها تختلف عن الخرائط القديمة.

ظهـرت محـاولات في ألمانيـا من قـبل «Peter Apian بيتـر ابيـان»، و«Sebastian Munster سبستيان مونستر»، اللذان نشرا مؤلفات جغرافية مهمة وجديدة لم يعرفها العالم منذ مؤلفات سترابو، وبطليموس.

ثم ظهر أحد طلاب أبيان «جيرارد كريمر G.Kremer» وكان مولعـا برسـم الخـرائط وقـد عـمل على تطوير مسـقط الخرائط المعـروف بمسـقط ميركيتـور Mercator Projection المعروف منذ منتصف القرن السادس عشر عام ١٥٥٠ م.

وأهم تطور جغرافي مؤثر ومهم جاء بعد مائة سنة عندما نشر «بيرنارد فيرانيوس B.Verenius» مؤلفاته عام ١٦٥٠ إذ حاول بناء إطار جديد للمفهوم الجغرافي الذي عرضه في كتابته وقد عرفت الجغرافيا» بأنها ذلك القسم من المعرفة الذي يتكون من مزيج من الرياضيات Mixed Arithmatics التي بها أمكن وصف الأرض وأقسامها بطريقة كمية.

ثم بعد ذلك يقسم الجغرافية إلى:

أ- الجغرافية العامة General Geog.: دراسة الأجزاء بشكل عام.

ب- الجغرافية الخاصة Special Geog. : دراسة الأقطار المختلفة.

بهذا يكون فيرانيوس قد وضع الأسس الصحيحة ولأول مرة عناصر الدراسة الجغرافية ولمنهجي بحثها: المنهج العام SYSTEMATIC والمنهج الاقليمي REGIONAL ونشر هذا في المجلد الأول من جغرافيته وهو

الجغرافيه العامه GEOGRAPHIE GENERALIS وقد بقى مؤلف نيرانيوس هذا له أهميه فى أوروبا لمائه سنه التاليه دون أن تظهر مؤلفات جغرافية أخرى ذات بال.

أخذت أوروبا فى الفترة التالية للمفكر Veranuis تهتم بالبحث فى العلوم الطبيعية Natural Sciences وحدث ما يسمى فى أوروبا بالثورات العلمية وظهرت نظريات Newton, Golileo, Copernicus وهذه الثورة الفكرية فصمت العلاقة مع الفكر الإغريقى الكلاسيكى والذى كان يعتمد على التجربة Empirical التى كونت الأسس الحديثة فى البحث العلمى.

وبذلك برزت المعرفة الجغرافية فى ثوب جديد من الفلسفة العلمية الصرفة Pure Geography فى ألمانيا وذكر الفيلسوف بيشل Peschel (١٨٢٦ - ١٨٧٥) فى كتابه «تاريخ وصف الأرض Geschichte der Erdkunde أن الجغرافية قد أخذت مكانها الصحيح كعلم مستقل وبدأ الوصف الجغرافى لسطح الأرض يستند على أسس طبيعية.

وفى هذا المناخ المتشبث بالنظريات العلمية، ظهر الفيلسوف الألمانى «كانت Kant» (١٧٢٤ - ١٨٠٤) الذى كان أستاذا للمنطق ولم يكن عالما تجريبيا وكان استاذا للجغرافية الطبيعية فى جامعة «كونجزبرج Konigsberg» وتتلخص نظريته فى أن الحصول على المعرفة يتم بطريقين:

أ- الفكر المجرد Pure Reason.

ب- الحواس Senses.

أما الإستيعاب الحسى فعلى نوعين:

أ- الحس الذى يتم عن طريق الحواس الداخلية ليكون الحس النفسى Soul.

ب- الحس الذى يتـم عن طريـــق الحـــواس الخـــارجـيـــة ليكون الحـــس الطبيـــعى Nature.

ولما كانت الجغرافية الطبيعية تتناول دراسة الطبيعة فتكون هى الأساس الجوهرى لادراكنا للعالم.

وبعد ذلك يوضح KANT كيفية حصول الانسان على معلوماته فيقول

«لما كانت تجارب الانسـان محدودة بالزمـان والمكان فـمن الضـرورى أن يستكمل الإنسان معلوماته عن طريق تناقلها مع الغير وهذا يتم عن طريقين:

أ- قصصيه تاريخيه.

ب- وصفيه جغرافية.

وأن كلا من التاريخ والجغرافيه موضوع وصفى الأول للزمـان والثانى للمكان وكون الجغرافية الطبيعية تمثل الاطار العام للطبيعه فانها تشكل قاعده الدراسة لجميع الدراسات الجغرافيه الأخرى مثل الجغرافيه الرياضيه (دراسة شكل الأرض وحجمها وحركتها) والجغرافيه الأخلاقيه ودراسة عادات وتقاليد الانسـان وعلاقتها ببيئته والجغرافية السياسيه والجغرافيه الدينيه وغيرها من أنواع الدراسات الجغرافيه.

وحاولت فلسفة «كانت» لأول مرة تصنيف المعلومات الجغرافيه التى كانت مكدسه ووفيره عن الأرض ومظاهرها وتعتمد فيها بشكل منتظم وحسب موضوعات منسقه Systematic بدلا من جردها الموضوعى Encyclopaedic وهو الأسلوب الذى كانت تكتب به الجغرافيه.

إن فلسفة «كانت» KANT هذه إن لم تكن تجريبيه إلا أنها قدمت منهجاً ومحتوى علمياً أحدث تغيراً فى الفكر الجغرافى الذى كان يعتمد على الوصف الطبيعى المجرد إلى فكر جغرافى يربط بين الدراسه الطبيعيه لسطح الأرض بالانسان الذى يعيش على سطحها . بهذه النظريات والتطورات التى شهدتها الدراسات الجغرافية وقف الفكر الجغرافى على عتبة تطوره الحديث.

الفكر الجغرافى الحديث:

١- محاولة الفيلسوف «كانت Kant» (١٧٢٤ - ١٨٠٤) تصنيف المعلومات الجغرافية حسب مواضيع منسقة Systematic بدلا من جردها الموسوعى Encyclopaedic الذى كانت تكتب به الجغرافية حتى نهايةالقرن الثامن عشر لأنه لم يكن هناك بين المثقفين متخصصا فى حقل معين من حقول المعرفة، بل كان المثقف متعدد الثقافات Jack Of All Arts And Master Of Everything، أى يعرف عن كل شئ ولكنه غير متخصص بعمق فى حقل معرفة معين لهذا لم تؤت فلسفة «كانت» أكلها ولم تتبلور وتتطور حتى أواسط القرن التاسع عشر على يدى العالمين الألمانين:

١- الكسندر فون همبولت (١٧٦٩ - ١٨٥٩)

Alexander Von Humbuldt

٢- كارل ريتير (١٧٧٩ - ١٨٥٩) Carl Ritter

إذ كانت جهودهما فى تطوير الفلسفة الجغرافية المنطلق الأول لوضع الفكر الجغرافى الحديث على قواعده الصحيحة.

(وكلا الفيلسوفين عابا على البحث الجغرافى السابق جموده وعقمه وسطحيته).

ويقول كارل ريتر فى هذا الشأن أو فى هذا الصدد:

«أنه نادرا ما كان يحتوى على تنظيم منسق للمعلومات بل كان مجرد تجميع مشوش لمختلف أنواع الظاهرات المهمة منها وغير المهمة»

«إن البحث الجغرافى يجب أن يكون أكبر من موضوع وصفى عابر، إن كل ظاهرة تبدو عند فحصها لأول مرة وكأنها مستقلة ومنعزله عن غيرها ولكن عند إعادة النظر فيها تكرارا ومع التأمل والفكر، يلمس المرء العلاقة المتبادلة الموجودة بينها وبين الظاهرات الأخرى.

إن هذين العالمين قد عاشا فى نفس العصر وهو النصف الأول من القرن التاسع عشر، وعاشا فى نفس المدينة «برلين» وعملا فى حقل المعرفة الجغرافية ثلاثين عاما دون سابق إتفاق علي الخط الفلسفى الذى طوره كل منهما.

يرى العالم الجغرافى Preston james، أن ريتر Ritter تأثر بآراء همبولت ويرى Dickinson أن ريتر كان أكبر أهمية وتأثيرا فى الفكر الجغرافى، ويرى Hartshorne أن كلا منهما أثر فى الآخر.

وسنعرض لدراسة كل منهما على حدة:

أولاً: الكسندر فون همبولت: (١٧٦٩ - ١٨٥٩)

كان همبولت منذ نشأته مولعا بالعلوم الطبيعية وذلك لإنتشار الفلسفة الطبيعية فى عهده وقد دفعه ولعه هذا إلى السفر والتجول منذ أوائل العقد الثانى من عمره، فقد زار انجلترا وسويسرا، ثم زار دول أمريكا الجنوبية وقضى بها خمس سنوات متجولا بين سهولها ووديانها ومرتفعاتها وزار المكسيك وكوبا كذلك. ثم عاد منها إلى باريس عام ١٨٠٤ وقضى فيها أكثر من عشرين عاما نشر خلالها حصيلة جولته العلمية، وعاد سنة ١٨٢٧ إلى برلين ثم دعاه قيصر روسيا لزيارة أواسط سيبيريا.

أما بقية الثلاثين سنة من عمره فقد كرسها لكتابة سفره الرائع (Cosmos الكون) وقد أتمه قبل وفاته بيومين.

وذكر فى مقدمة مؤلفه هذا «أن أهم غرض فى دراسة العلوم الطبيعية وحدة الوجود وتباين محتواها Unity In Diversity وأهم الأفكار التى احتواها مؤلفه Cosmos مايلى:

١- إن الإنسان جزء من هذا الكون.

٢- عن أهمية الأرض ومركز الإنسان بها وإن دراسة الطبيعة تصبح غير كاملة إذا لم يكن الإنسان داخل إطارها.

٣- اعتقاده بالترابط بين جميع الظاهرات وأن الأرض وحدة عضوية متكاملة.

ولهذا كان همبولت عند دراسته لظاهرة ما يتناول علاقة هذه الظاهرة بغيرها من الظاهرات الأخرى.

أى أنه يبحث عن أسباب وجودها والنتائج التى تنجم عن هذا الوجود أى الأسباب والنتائج Cause And Effect مبدأ السببية Causality.

وكان فى تحليله للظاهرات يبحث فى ترابطها كما تبدوا فى توزيعها العام على سطح الأرض أى بطريقة منهجية Systematic.

ثانياً: كارل ريتر: (١٧٧٩ - ١٨٥٩)

لم يكن Ritter باحثا حقليا كما كان همبولت، بل إنه أجرى أبحاثه فى المكتبة ورغم ذلك، فهو يقول أن الجغرافيا يجب أن تكون علما تجريبيا Empirical أكثر من كونها مستمده من التحليلات الفلسفية والتى يجب أن يسبقها معرفة بسطح الأرض وبنائها على أساس إقليمى Regional أى تحليل العلاقات الجغرافية مستندة على أساس إقليمى وهذا بخلاف همبولت الذى

إستند فى تحليله للظاهرات وبيان جوانب ترابطها كما تبدوا فى توزيعها العام على سطح الأرض Systematic.

أما ريتر فيعتبر الإقليم هدف الدراسة الجغرافية الذى يتبين به كيفية ترابط الظاهرات المختلفة مع بعضها فى مكان معين على سطح الأرض ومن المبادئ الأساسية التى يتمسك بها Ritter هى أن الإنسان مركز إهتمام الدراسة الجغرافية وهى فكرة يكررها دواما فى مؤلفاته، وخاصة فى مؤلفه «وصف الأرض Erdkunde»، إذ يقول فى مؤلفه هذا «تقديم صورة لترابط أوضاع الجغرافية الطبيعية لسطح الأرض بإعتبارها موطن للبشر الذين يعيشون على سطحها».

إن الإنسان والأرض فى رأى Ritterيقفان بشكل مترابط بحيث لايمكن فهم أحدهما دون أخذ الآخر فى الإعتبار.

المقارنه بين الفيلسوفين:

أنهما يتفقان فى كثير من الخطوط العميقة فى التفكير الجغرافى وخاصة العلاقات والروابط بين الظاهرات المختلفة وهناك بعض جوانب الإختلاف:

* أن منهج همبولت عام Systematic.
* أما منهج ريتر فيقوم على أساس إقليمى Regional.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الإختلاف ليس معناه التضارب فى أرائهما وذلك لأن منهجيهما يمثلان خطا متكاملا فى الدراسة

الجغرافية، وفى سنة وفاتهما نشر Charles Darwin كتابه «أصل الأنواع Origin Of Species» فأدى ذلك إلى إبراز أثر البيئة الطبيعية فى الظاهرات الإجتماعية فى المجتمع البشرى وبذلك تحول الثقل فى الدراسات الجغرافية إلى الجانب الطبيعى مرة أخرى ولم يقتصر هذا الأثر على الجغرافية بل تعداها إلى التاريخ، ففى كتاب Buckle فى مؤلفه «تاريخ الحضارة فى بريطانيا» يعطى العوامل الطبيعية منزلة رئيسية فى أحداث التاريخ.

وفى الجغرافية أصبحت الظاهرات الطبيعية مركز الإهتمام أما الإنسان ووجوده فأصبح يدرس ما له من علاقة بهذه الظاهرات.

وأول من حولوا الثقل فى الدراسة الجغرافية إلى سطح الأرض وأشكالها Peschel فى كتابه «الجيومورفولوجيا Geomorphology».

لقد كانت الظاهرات الطبيعية والظاهرات البشرية تعالج ككل مع إبراز العلاقات بينهما على أساس السببية أى الأسباب والنتائج إلا أن الثقل فى الدراسات الجغرافية منذ ظهور نظرية دارون عام ١٨٥٩ أصبح للبيئة الطبيعية وأثرها فى الظاهرات البشرية وهذا تحول كبير فى الفكر الجغرافى إذ أنكر علماء الجغرافيا وحدة المعرفة فى الجغرافية التى تعتبر أنه لا فرق فى المنهج بين الظاهرات الطبيعية والظاهرات البشرية أى بين الأرض والإنسان.

وبذلك أصبح الثقل فى الدراسات الجغرافية للظاهرات الطبيعية أما الإنسان وما يتعلق بنشاطه فأصبح فى المرتبة الثانية ثم جاءت كتابات

الفيلسوف الألمانى فريدرك راتزل Friedrich Ratzel (١٨٤٤ - ١٩٠٤) الـذى إعتنى بدراسة الظاهرات البشرية وأبرز العلاقة بينها وبين الظاهرات الطبيعية على أساس السببية وفى كلمة راتزل نفسه باللغة اللاتينية:

Rirum cognoscere causes: to know The Causes Of Things وفى كتابه "Anthropo-Geographie" أبرز أثر العوامل الطبيـعيـة فى الظاهرات البشرية ولهذا اعتبر أول من نادى بحتمية البيئة الطبيعية: Environmental Determinism، وجاء تلاميذه من بعده وغالوا كثيرا فى حتمية البيئة الطبيعية على الإنسـان ونشـاطه منكرين أن الإنسـان عنصر نشط فعـال وذكى وله تـأثيره على البيئة الطبيعية التى يعيش فيها.

وكان من أبرز تلاميذه الأمريكية Ellen Churchill Semple ألين سمبل، التى ألفت كتابا وإتخذت له عنوان كتاب أستاذها Ratzel وأسمته Anthropo - Geography وكتبت فى مقدمة هذا الكتاب «أثر البيئة الطبيعية على الإنسان» إن الإنسان من إنتاج سطح الأرض.

The man is the product of the earth's surface.

بهذا أصبح الفكر الجغرافى تسيطر عليه نظرية حتم البيئة الطبيعية.

إلى جانب هذا كان انكار المنهج الذى يقول بوحدة المعرفة الجغرافية لأن منهج الدراسـة للعلوم الطبيـعيـة يخـتلف تمامـاً عن منهج الدراسـه للعلوم الاجتماعيه، لهذا أصبح للجغرافية جانبان أحدهما طبيعى والآخر بشرى.

الازدواجية فى الجغرافية

إن الفصل بين الدراسة الطبيعية والدراسة البشرية في نهاية القرن التاسع عشر واهتمام بعض المدارس الجغرافية بالعامل الطبيعى وجعل العامل البشرى فى المرتبة الأدنى، واهتمام المدارس الجغرافية الأخرى بالعامل البشرى وجعل العامل الطبيعي فى مرتبة أدنى أدى إلى ما يسمى بالازدواجيه فى الجغرافيه Dualistic Concept أو مايسمى Dualism ففى الولايات المتحدة مثلاً كان التركيز فى الدراسة الجغرافية على العامل البشرى وبريطانيا ودول أخرى ركزت على الجانب الطبيعى وفى السويد أخذت المجلة الجغرافية السويدية تنشر أعدادها فى سلسلتين واحدة للجغرافية الطبيعية والأخرى للجغرافية البشرية.

إن التقييم العلمى فى أن الفصل بين الدراسة الطبيعية والدراسة البشرية فى الجغرافيا مرفوض سواء كان ذلك من الناحية الفلسفية أو الناحية المنهجية لأنه لاتوجد إلا فلسفة جغرافيه واحدة وهى التى تدور حول دراسة الظاهرات المختلفة كما تتوزع على سطح الأرض وبحسب علاقتها المكانية المتعددة سواء كانت طبيعية أو بشرية.

وفى بداية القرن العشرين اتسعت دائرة المناقشات بين الجغرافيين لمعارضة نظرية الحتم الجغرافى وازدواجية علم الجغرافيه وتقسيمه بين طبيعية وبشرية ونشأت مدارس جغرافية متعددة المذاهب فى دول أوروبا والولايات المتحدة تعارض وتقاوم الآراء السابقة التى تمخض عنها الفكر الجغرافى فى القرن التاسع عشر.

الاتجاه إلى الاقليمية فى الدراسة الجغرافية:

لقد كانت النظرة الاقليمية فى الدراسة الجغرافية فى بداية القرن العشرين كرد فعل لانحراف الفكر الجغرافى فى القرن التاسع عشر (ازدواجية الجغرافية وحتمية البيئة الطبيعية Dualism and Determinesm).

كما أن بناء الدراسة الجغرافية على أساس السببية Causality- الأسباب والنتائج - التى انحرف إليها الفكر الجغرافى فى القرن التاسع عشر لايمكن أن تكون أساساً لعلم ما بعامة والجغرافيه بخاصة لأن العلم يجب أن يقوم على أساس مجموعه من الحقائق الماديه Body of materials تصلح أن تكون مجالا للبحث والدراسة.

لهذا انتشر المنهج الاقليمى فى الدراسة الجغرافية بأشكاله المتعددة تحت مظلة «جغرافية سطح الأرض» Landscape geography. وقد انتشر هذا الفكر الجغرافى أو الفلسفة الجغرافية على نطاق واسع فى الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية إذ تحمس له الكثير من الجغرافيين فى هذه الدول واعتبرت الدراسة الاقليمية هى قمة الدراسة الجغرافية.

ويقصد بجغرافية سطح الأرض دراسة كل ما يرى على سطح الأرض من الظاهرات المرئية أو الموجودة وهذه منها ما كان من صنع الانسان ومنها ما كان طبيعياً كالغابات والمراعى ومنها ما كان نتيجة التفاعل بين البيئة الطبيعية والانسان ويذكر Brunhes إن دراسة اللاند سكيب Landscape يتم بطريقة

تمسح ما على سطح الأرض من الظاهرات المختلفة لتبين للدارس خصائص هذه الظاهرات والعلاقات فيما بينها .

لقد استمر المنهج الاقليمى فى الدراسة الجغرافية أكثر من ستين عاماً وأن كان قد ناله بعض الضعف بعد الثورة الصناعية فى دول الغرب إذ تحول الفكر الجغرافى بعدها إلى الدراسة المنهجية أو الموضوعية أو الدراسة العامة Systematic geog. وأن هذه الدراسة المنهجية فى طبيعتها ستؤدى إلى ظهور الاختلاف والتمييز بين مكان وآخر وهذا بعينه جوهر النظرة الاقليميه ولو أن هذه النظرة المنهجية لاتعنى الاقليم لذاته ولكنها تصل فى نهاية المطاف إلى تمييز الأقاليم بعضها عن بعض واختلافها .

يتجلى المنهج الاقليمى فى صوره المختلفه فى المدارس الجغرافية الآتيه:

أولاً: المدرسة الألمانية:

يعتبر الفريد هتنر Alfred Hettner من أهم الفلاسفة الألمان (١٨٥٩ - ١٩٤١ وظهرت كتاباته عام ١٩٠٨). الذين نادوا بالوحدة الجغرافية فى التفكير منذ النصف الأول من القرن العشرين وقد أخذ بجميع أطراف الفلسفات المتضاربة وصياغتها فى ثوب جديد فقد أزال الفروق أو الحدود القاطعه بين الدراسات الطبيعية والدراسات البشرية فى الجغرافيا وبين الدراسات الاقليمية والدراسات العامة وذلك لأن الجغرافيا تعنى بدراسة الترابط المتباين بين الظاهرات كما توجد على سطح الأرض .

Different associations of phenomena

أى الوحدة الموجودة بين محتواها المتباين Unity in Diversity

يرى Hettner أن هدف الجغرافيه معرفة الاختلافات المكانية بين جزء وآخر من سطح الأرض ومعرفة الأسباب التى أدت إلى ذلك والعلاقات بين الظواهر الطبيعية المختلفة.

وقد قسم العالم إلى أقاليم طبيعية فى كل قارة على أساس السطح والمناخ والنبات ولعل هذا الاتجاه الاقليمى كان للخروج من مشكلة الازدواجية فى الجغرافية

وعند دراسته لقارة آسيا مثلاً قسمها إلى:

١- خمسة أقاليم طبيعية كبرى Macro Regions

أ- شمال آسيا، ب- جنوب آسيا، جـ- وسط آسيا، د- شرق آسيا، هـ- غرب آسيا.

ثم قسم كلاً من هذه الأقاليم الطبيعية إلى أقاليم طبيعية أصغر منها Micro Regions.

ثم أخذ هتنر Hettner فى دراسة الأقاليم الطبيعية الصغرى ومعرفة شخصية كل منها على أساس ما بها من ظاهرات بشرية مختلفة وأن Hettner بهذا الاتجاه يرى تقسيم العالم إلى أقاليم، أن هذه الاقليمية أو التصور

الاقليمى Regional Conception قد تجاوب معها كثير من الجغرافيين فى الدول الأخرى.

استمرت الدراسة الاقليمية فى ألمانيا تحت اسم

"Landschaft geography"

واعتبر الجغرافيون الألمان أن دراسة اللاند شافت هو الهدف الرئيسى فى الدراسة الجغرافية فالعالم الألمانى Schlutler مثلاً يرى أن اللاند سكيب الطبيعى واللاند سكيب الحضارى لايمكن فصل بعضهما عن بعض لأن اللاند سكيب الطبيعى تحول خلال القرون الطويلة لأثر الانسان فيه وتغييره له نتج عنه اللاند سكيب الحضارى القائم حالياً.

وأن هذا اللاند سكيب الحضارى له شخصية مميزة عن شخصيات الأقاليم الأخرى المجاورة.

ثانياً: المدرسة الفرنسية:

قام فيدال دى لابلاش Vidàle de la Blache بتقديم فلسفة أخرى قائمة على النظرة الأقليمية للطبيعة الجغرافية.

Regional view of the nature of geography:

وقد نحا فيدال نحواً آخر غير الذى سلكه هتنر Hettner فهو لم ينظر إلى البيئة الطبيعية كعامل منفصل عن الجماعات التى تسكنها بل نظر إليها كوحدة

واحدة Unit إذ أن كل منهما يكون مزيجا واحدا.

The Two Form A Complicated Amalgam وعلى هذا الأساس قسم فرنسا إلى أقاليم سماها Les Pays وهى أقاليم متمايزة كل منها له طابعه الخاص وقد جاء هذا الطابع نتيجة للتفاعل بين البيئة الطبيعية والجماعات البشرية التي تسكنها قرونا وقرونا ولهذا بـرز الطابع المميز لهذه الأقاليم بعضها عن بعض وهو يرى أن الإنسان له من الأهمية في الدراسة الجغرافية ما لعناصر البيئية الطبيعية وله من القدرات ما يجعله حراً تجاه عناصرالبيئة الطبيعية.

وذكر فيدال أن هدف الجغرافية هو دراسة هذه الأقاليم المختلفة أرضا وسكانا.

أصبح للمدرسة الفرنسية ثقلا فى الدراسات الجغرافية إذ أصبحت المدرسة الفرنسية ذات تأثير بالغ فى الفكر الجغرافى. وأصبح لهذه المدرسة تأثير بالغ فى نشر الدراسة الإقليمية فى دول أوروبا والولايات المتحدة.

ونشر فيدال دى لابلاش الكثير من الكتب التى أهمها جغرافية العالم Geographie Universelle ثم جاء أحد طلاب فيدال دى لابلاش وهو لوسيان فيفر Lucein Febvre الذى قام بمهاجمة المذهب الحتمى (حتمية البيئة الطبيعية) ونادى بأن الإنسان ليس عنصرا سلبيا فى البيئة التى يعيش فيها بل

إن الإنسان له نشاطه ذكاؤه وإمكانياته وأنه يستطيع أن يؤثر فى هذه البيئة التى لاتملك حتميات تفرضها على الإنسان بل إن الإنسان حر تماما وهو السيد فى البيئة التى يعيش فيها وقادر تماما على إستخدام عناصرها التى تناسبه بدون حتمية من جانب البيئة الطبيعية التى يعيش فيها وسمى هذا المذهب الإمكانى Possibilism. وأصبح تلاميذ لوسيان فيفر يغالون فى إمكانيات الإنسان ليقاوم ويعارض مذهب الحتمية السائد فى عهده ولكن هذا التطرف فى المذهب الإمكانى أحدث ردود فعل وجدل ومناقشات حول أهمية العامل البشرى فى البيئة الجغرافية وبين الجغرافيين المؤيدين لمذهب الحتمية. إستمر الجدل بين الفريقين حتى الستينيات من القرن العشرين أى بعد الحرب العالمية الثانية وأخيرا جاء فريق آخر من الجغرافيين وقدم حلا وسطا بين المتطرفين من الجانبين وهو المذهب الترجيحى Probabilism أى أحيانا ترجح كفة البيئة الطبيعية وأحيانا ترجح كفة الإنسان أى أحيانا تكون الغلبة للبيئة الطبيعية وأحيانا تكون الغلبة للعنصر البشرى.

ثالثا: المدرسة البريطانية:

قام هربرتسون Herbertson بإصدار مؤلفه عن الأقاليم الطبيعية الكبرى فى العالم عام ١٩٠٥م. Thw Magor Natural Regions Of The World.

واتخذ المناخ أساسا لهذا التقسيم بهدف التمييز بين أنواع النبات الطبيعى على سطح الأرض. وقد إعتمد هربرتسون فى تقسيمه هذا على كتاب

Köppen الذى صدر عام ١٩٠٠م. وقسم فيه العالم إلى أقاليم مناخية.

وقد أخذ هربرتسن فى اعتباره ظاهرة الارتفاع والانخفاض فى سطح الأرض إلى جانب أنواع المناخ وابراز اثار ذلك على النبات الطبيعى.

وقد قسم هربرتسن العالم إلى خمسة أقاليم طبيعية هى:

أ- الأقاليم القطبية.

ب- الأقاليم المعتدلة الباردة.

جـ- الأقاليم المعتدلة الدفيئة.

د- الأقاليم المدارية.

هـ- الأقاليم الاستوائية.

ولكننى أرى أن هذه الدراسة ليست دراسة اقليمية بالمعنى الصحيح ولكنها دراسة عامة لاظهار أوجه الاختلاف على سطح الأرض.

ثم جاء العالم ميل H.R.Mill الذى اعتبر أن سطح الأرض يضم أقاليم طبيعية مختلفة وأن الانسان يؤثر فى هذه الأقاليم ويتأثر بها. وعلى هذا الأساس قسم انجلترا إلى أقاليم طبيعية بمعاونة كل من شيشولم Chisholm وماكندر Mackinder ثم قام العالم R.E. Dickins الذى رأى أن دراسة اللاندسكيب هى أهم أهداف الدراسة الجغرافية وهى بعينها دراسة اقليمية.

ثم جاء بعدهم فليير Fleure عام ١٩٣٩ وأبرز دراسة اقليمية تعتمد على دراسة التفاعل بين البيئة الطبيعية

والانســـــان Men environment Interactions وهـذا نفس الاتجــاه الذى سلكه فيدال دى لابلاش.

قـام فلير Fleure بتـقـسـيم العـالم إلى أقـاليم على أسـاس وفـرة الغـذاء وسـهولة أو صعوبة الحصول عليه وهـذه الأقاليم هـى:

١- أقـاليم الغنى والزيادة Regions of increment مـثل أقليم البـحـر المتوسط.

٢- أقاليم الصعوبة Regions of Difficulty مثل أقاليم المرتفعات.

٣- أقاليم الجوع Regions of Hungry مثل الأقاليم القطبية.

٤- أقـاليم العـجز والضـعف Regions of Dilapidation مثل الأقـاليم الاستوائية.

٥- أقاليم الفقر Regions of Poverty مثل أقاليم الصـحارى.

تفـصح دراسـة اعـلام الفكر الجـغرافى فى بريطـانيـا أنه كـان فـى بداية القرن العشرين كان يقوم على أساس الأقليم الطبيعى حتى بداية الحرب العالمية الثانية وبعدها أخذ الجغرافيون الانجليز يبتعدون عن الأقليم الطبيعى ويتـجهون نحو الأقليم الوظيفى كترجمة للتفاعل بين الانسان وبين البيئة الطبيعية التى يعيش فيها كما يرى ذلك فى أقاليم Fleure وتقسيمه العالم على أساس انتاج الغذاء.

إن كلاً من المنهجين السابقيين يدخلان فى صميم تعريف علم الجغرافيا فقد عرفها راتزل بأنهَا دراسة العلاقات الذاتية بين الانسان والبيئة الطبيعية التى يعيش فيها . وعرفها هارتسهورن بأنها دراسة الاختلافات على سطح الأرض وعرفها ديكنسون Dickinson بأنها دراسة اللاندسكيب وعرفها هتنر Hettner بأنها دراسة الاختلافات بين أجزاء سطح الأرض.

وعرفتها الجمعية الجغرافية البريطانية بأنها العلم الذى يصف سطح الأرض وما به من ظواهر مختلفة وأسباب هذا الاختلاف.

من هذا يتضح أن المنهج الاقليمى هو أساس الدراسة الجغرافيه وإن جنح الجغرافيون بعيداً عن دراسة الاقليم الطبيعى.

رابعاً: المدرسة الأمريكية

فى أمريكا اتجه الفكر الجغرافى إلى المغالاة فى أثر الانسان فى البيئة الطبيعية أو ما يسمى باللاندسكيب الحضارى Cultural Landscape وهكذا ابتعد الجغرافيون الأمريكان عما يسمى بالأقليم الطبيعى إلى الأقليم الوظيفى Functional Region فنجد مثلاً العالم الأمريكى هويتلسى Whittlesey عام ١٩٢١ قد أصدر بحثاً يبتعد فيه تماماً عن الدراسة الأقليمية التقليدية إلى نوع من الدراسة الأقليمية على أساس Compages أو ما يشغل مساحة صغيرة من الأرض من نشاط اقتصادى وذلك بأن أخذ مساحة من الأرض بها تجانس على أساس واحد فقط هو طريقة استغلال الانسان للأرض على أساس اقتصادى

Man's occupance of the earth ثم يدرس الظاهرات البشرية والظاهرات الطبيعية دون أن يتبع الترتيب التقليدى فى الدراسة الاقليمية. أى أن الجغرافيين الأمريكان كان تركيزهم على أثر الانسان فى البيئة الطبيعية التى يعيش فيها.

لقد قسم هويتلسى Whittlesey العالم إلى أحد عشر اقليماً هى:

١- أقليم تربية الحيوان المتنقل فى الأقاليم الجافة Nomadic Herding.

٢- أقليم تربية الحيوان على نطاق واسع كما هو الحال فى استراليا ونيوزلندا.

٣- أقليم الزراعة المتنقلة فى الأقليم المدارى.

٤- أقليم الزراعة المستقرة فى الأقليم المدارى.

٥- أقليم الزراعة الكثيفة للاستهلاك الذاتى كما هو الحال فى بعض مناطق الصين.

٦- أقليم الزراعة الكثيفة فى شمال الصين وتختص بزراعة الأرز.

٧- أقليم الزراعة الواسعة لأغراض تجارية كزراعة الموز والسكر والشاى.

٨- أقليم زراعة البحر المتوسط.

٩- أقليم الزراعة الواسعة للحبوب مع قلة السكان وذلك باستخدام الالات.

١٠- أقليم تربية الحيوان لأغراض تجارية والزراعة القائمة من أجل تربية الحيوان فى المناطق الفقيرة فى شرق أوروبا.

١١- أقليم تربية الحيوان لأغراض تجارية والزراعة القائمة فيها من أجل تربية الحيوان فى المناطق الغنية فى الدنمارك وهولندا.

فى أمريكا يتجلى تطبيق النظرية الامكانية Posibilism والتى سبقت الاشارة إليها وهى التى تركز على أثر الانسان فى البيئة الطبيعيةالتى يعيش فيها أى تقسيم الأرض على أساس النشاط واستغلال الأرض ويبدو واضحاً في الفكر الجغرافى الأمريكى أنه تطور أوتحول من دراسة أقليم طبيعى إلى أقليم وظيفى أى تركيز الاهتمام على النشاط البشرى.

ازدهرت الدراسات الأقليمية فى أمريكا فى الفترة الأولى من القرن العشرين وحتى نهاية الخمسينات من هذا القرن وأبرز الجغرافيون الأمريكان Hartshorne الذى اهتم بالدراسة الاقليمية وأصدر بحثاً عنوانه The nature of geography عام ١٩٣٨ عرف فيه الجغرافية بأنها تتركز على دراسة اختلافات سطح الأرض الذى يتكون من ظاهرات مختلفة Mosaic يجعلها تختلف من مكان إلى آخر على سطح الأرض وركز Hartshorne أيضاً على استخدام الخرائط لابراز هذه الاختلافات على سطح الأرض واعتبر هارتسهورن أن الدراسة الجغرافية دراسة تركيبية Synthetis أى تدمج الظاهرات المتقاربة فى أسبابها لتعطى وصفاً كاملاً للأقليم يبرز شخصيته التى تجعله متميزاً عن الأقاليم الأخرى أو الأماكن الأخرى وهذا ما تعنيه الدراسة الاقليمية.

ويذكر Hartshorne أن هناك نوعين من الأقاليم:

أ- الأقليم الذى تتماثل وتتشابه فيه الظاهرات المختلفة وهذا الذى يسمى اقليماً جغرافياً أو اقليمياً طبيعياً Formal Region.

ب- الأقليم الوظيفى الذى تقوم وحدته على ظاهرة واحدة تشغل مساحة معينة من الأرض كأقليم القمح أو أقليم الذرة أو مدينة تجارية مركز للمواصلات. ومن الجغرافيين الأمريكان C.O.Sauer ١٩٤١ الذى يركز علي دراسة اللاندسكيب الحضارى مع التركيز على الظاهرات البشرية ويرى ساير Sauer أنه لاداعي لدراسة التطور التاريخي لهذه الظاهرات أو حدودها، لأنه يدرس اللاندسكيب الحضارى كما هو موجود فعلاً.

ومن بين الجغرافيين الأمريكان Whittlesey عام ١٩٣١ الذي جنح إلى طريقة أخرى فى دراسته الإقليمية. فقد إبتعد عن دراسة الإقليم الطبيعى وإبتعد أيضا عن المغالاه فى أثر الإنسان فى البيئة الطبيعية التى يعيش فيها فقد قسم سطح الأرض على أساس مساحات صغيرة من الأرض سماها Compages بها تجانس على أساس واحد فقط هو طريقة الإستغلال الإقتصادى للإنسان فى المساحة الصغيرة من اللاندسكيب أو سطح الأرض التى يعيش بها.

وقد لقى تقسيم Whittlesey لسطح الأرض علي أساس نوع الإستغلال البشرى Man's Occupance Of The Earth قبولا بين الجغرافيين الأمريكان.

الفكر الجغرافى المعاصر

هيمنت دراسة الأقليم والاقليمية على الفكر الجغرافى خلال النصف الأول من القرن العشرين وكان المنهج الأقليمى فى الدراسة الجغرافية له الصدارة فى هذه الدراسة سواء فى دول غرب أوروبا أو فى الولايات المتحدة.

ولكن المنهج الاقليمى تضاءلت أهميته منذ الخمسينات من هذا القرن بصفة عامة بعد الثورة أوالانقلاب الصناعى وما نتج عنه من تقدم حضارى فى دول غرب أوروبا والولايات المتحدة لأن هذا التقدم التكنولوجى قلل من الترابط بين البيئة الطبيعية وأثرها على الانسان.

إلا أنه تجدر الاشارة إلى أن الجماعات المتخلفة سواء فى البيئات الزراعية أوالرعوية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية مازال يظهر فيها يقينا أثر البيئة الطبيعية فى الانسان الذى يعيش فيها ولهذا كانت الدراسة الاقليمية فى هذه المناطق تبرز وتوضح الاختلاف فى أقاليم سطح الأرض فى هذه المناطق الواسعة من العالم. إلا أن الجغرافيين بوجه عام وفى الولايات المتحدة بشكل خاص يوجهون نقداً مراً إلى الدراسة الاقليمية ويصفونها بأنها:

أ- دراسة جامدة ووصفية.

ب- التصنيف الاقليمى متناقض وبدائى ساذج.

جـ- الدراسة الاقليمية تثير السأم والملل فى تتابع الظاهرات الطبيعية وبعدها النشاطات الاقتصادية مما يجعل المعلومات فى الدراسة الاقليمية مسطحة متقطعة لايبدو فيها الترابط بين الظاهرات المختلفة.

د- الدراسة الاقليمية يظهر فيها سطحية التحليل العلمى الذى يقوم به الجغرافيون.

هـ- الدراسة الاقليمية أصبحت دراسة عتيقة قد عفا عليها الزمن ولاتتفق مع أسلوب البحث العلمى الحديث.

ويطالب هؤلاء النقاد الجغرافيون بالاهتمام بالدراسة العامة (الموضوعية فى الجغرافيا) Systematic وأن تكون لهذه الدراسة الصدارة بدلاً من جعل هذه الصدارة للدراسة الاقليمية وهنا لابد من الاشارة إلى كل من المنهجين فى الفكر الجغرافى.

أ- الدراسة الاقليمية Regional

ب- الدراسة المنهجية أوالدراسة العامة Systematic

أولاً: الدراسة الاقليمية

تتناول هذه الدراسة:

١- الظاهرات الطبيعية مثل:

الموقع - التركيب الجيولوجى لسطح الأرض - أشكال سطح الأرض - المناخ - النبات (خمس ظاهرات)

٢- الظاهرات البشرية اجتماعية واقتصادية

السكان - المدن - الانتاج الزراعى - النشاط الصناعى - النقل - النشاط التجارى - تربية الحيوان البرى والبحرى (٧ ظاهرات)

فى كل دراسة اقليمية يجب أن تشتمل على هذه العناصر الطبيعية وأثرها فى الظاهرات البشرية.

ثانياً: الدراسة الشاملة أو الموضوعية

.Systematic or topical studies

يقصد بالدراسة المنهجية تجميع القواعد والقوانين فى علوم لا تنتمى أصلاً إلى الجغرافية مثل علم السكان علم الزراعة وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النقل والمواصلات وبذلك لاتصبح الجغرافية علماً بل مجمع للعلوم المختلفة وأنه على الجغرافى أن يأخذ من هذه العلوم وفروعها المختلفة ما يلزمه فقط لإيضاح العلاقة والتفاعل بين البيئة والانسان.

وبذلك يصبح الفكر الجغرافى المعاصر وكأنه قسمة بين الدراسات الاقليمية والدراسات الموضوعية أو الدراسة العامة Systematic. .

الأولى يتزعمها البروفسور C.A. Fisher فى بريطانيا وهو رئيس قسم الجغرافية فى معهد الدراسات الشرقية والافريقية فى جامعة لندن، والثانية يتزعمها فى الولايات المتحدة الجغرافى الفيلسوف Hartshorne وزملاؤه.

هذا الوضع لايعطى الصورة الحقيقية للدراسات الجغرافية فى جامعات العالم ففى الولايات المتحدة نفسها فى احصاء قام بها Perloff عام ١٩٥٧ إن الولايات المتحدة بها ١٤٠ جامعة تحتوى برامجها على دراسات اقليمية - والجامعات فى دول غرب أوروبا وروسيا برامجها تحتوى على دراسات اقليمية

أيضاً ودراسات عامة أو موضوعية إلا أن الدراسة الاقليمية القائمة حالياً ليست غالباً عن الأقليم الطبيعى أو الأقليم الجغرافى ولكنها دراسة أقليمية لاتعنى بالمكان Landscape ولكنها تعنى أقاليماً وظيفية أساسها اقتصادى أى تعنى باللاندسكيب الحضارى لسطح الأرض وليس سطح الأرض ذاته بصفة أساسية كما هو الحال فى الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية.

أولاً: المدافعون عن الدراسة الاقليمية الجغرافية

يرى هؤلاء أن الدراسة الاقليمية هى الأساس الذى تتضمنه تعاريف العلماء لعلم الجغرافية لأنها تربط بين آثار البيئة الطبيعية على النشاط الاجتماعى والاقتصادى لهؤلاء السكان الذين يعيشون فى هذه البيئة وأن أية دراسة جغرافية لاتأخذ فى اعتبارها أو فى حسابها الظاهرات الطبيعية من موقع وسطح الأرض ومناخ ونبات على النشاط البشرى فهى دراسة جغرافية منقوصة.

وحقيقة أن هناك قصور وعيوب فى الدراسة الجغرافية الاقليمية إلا أنه من الواجب على الجغرافيين تصحيح هذا النقص أو هذه العيوب فمثلاً يتجه بعض النقد إلى الدراسة الاقليمية بأنها دراسة جامدة وأنها لاتهتم بدراسة الروابط المختلفة الاقليمية الفعالة Dynamic وأن يهتم الجغرافيون بربط الظاهرات ببعض لتعطى للأقليم شخصيته المتميزة.

يذكر الدكتور C.A.Fishr فى بحث نشـرته مـجلة Geography عـدد نوفمبر عام ١٩٧٠ مايلى:

«أنه من المؤسـف أن يظهر بين الجـغرافـيين من ينادى بالتقليل من شـأن الدراسة الاقليمية فى الجغرافية أو يقلل من شـأن البيئة الطبيعية كعامل مؤثر فى النشاط البشرى. وأنه من الزيف الابتعاد عن الحتم الجغرافى والارتماء فى أحضـان المذهب الامكانى Possibilism والمغالاة فى جعل الظاهرات البشرية كتلة كبيرة غير متباينة تحـركها الآلات الحاسبة. أنه من أهم الواجبات على أساتذة الجـغرافيـة الاهتمام بدراسة الأرض والسكان مـعاً ككل متكامل يضفى على الأقليم الشخصية التى يتميز بها»

وتتحمس رابطة الجغرافيين البريطانيين فتدافع عن الدراسة الاقليـمية فى الجغرافية فـى مجلة Geography عدد يوليو عـام ١٩٧٧ فى تقرير لها يذكر مايلى:

أن الجغرافية الاقليمية هى دراسة أجزاء معينة من سطح الأرض لاظهار العلاقات بين الظاهرات الطبيعية للبيئة وبين الظاهرات البشرية المختلفة من اقـتصـادية أو سيـاسـيـة أواجـتمـاعـيـة. وهى التى تمكن الجـغـرافـى من ادراك خصائص الأقاليم المختلفة ومعرفة أوجه التشابه أوالاختلاف فيما بينها.

أما الدراسة الجغرافية العامة أو Systematic Study فإن الانتباه يتركز على الظاهرات الـعـامـة وليس نحـو المكان وأنـه من الممكن للجـغـرفـى أن يقـوم

بالدراسات الجغرافية العامة تحت مظلة الجغرافية الاقليمية Under the regional Umbrella وهذا هو الهدف الأول للجغرافية منذ القرن الخامس قبل الميلاد.

وتأسف الرابطة لما يذكره البعض من أن الجغرافية الاقليمية قد عفا عليها الزمن وأنها دراسة غير علمية وأن الدراسة الجغرافية العامة Systematic Studies وهى التى يجب أن يركز الجغرافيون اهتمامهم عليها.

إن الدراسة الاقليمية ليست وصفية جامدة كما يقولون وأنها لاتضع فى حسابها عامل الزمن فلا تعنى بالتغيرات التى حدثت أثناء فترات التاريخ.

لهذا يهيب أعضاء الرابطة البريطانية للجغرافية بأساتذة الجغرافية أن يجعلوا الدراسة الاقليمية دراسة حية Dynamic وذلك بابراز العلاقة والتفاعل بين ظاهرة جغرافية وأخرى. ومن المستحسن فى دراسة الجغرافية الاقليمية أن تأخذ الوحدة السياسية أو الدول كإقليم طبيعى واحد حيث تتوفر الاحصائيات السكانية الاقتصادية وبذلك تتيسر للجغرافى دراسة العلاقة بين السكان والموارد الاقتصادية ويدرس كذلك التجارة الخارجية والقوى البشرية العاملة فيها.

ويهيب أعضاء الرابطة بأساتذة الجغرافية أن يأخذوا فى اعتبارهم عامل الزمن فى الماضى والحاضر وامكانية التنبؤ بالمستقبل وكذلك يجب أن يكون

التحليل والربط فى الدراسة الاقليمية قائم على الاستنتاج والاستدلال والتنبؤ Deductive Predictive بهذا يصبح الجغرافى عضواً هاماً فى دراسة التخطيط فى الدول للحاضر والمستقبل.

ويهيب أعضاء الرابطة أيضاً بأن لايتقيد الجغرافيون بالترتيب التقليدى فى الدراسة الاقليمية (الموقع – البيئة – أشكال سطح الأرض – المناخ – التربة– النبات – الزراعة القائمة – الصناعة – توزيع السكان – المدن .... الخ) لأن هذا الترتيب للمعلومات لايوفر الترابط المطلوب بين البيئة والانسان.

إذ أن المهم فى الدراسة الأقليمية «تركيب المعلومات» Synthetis بحيث تبرز العلاقات بين الظاهرات المختلفة. لأن المهم فى الدراسة الاقليمية ابراز العلاقات بين عوامل البيئة الطبيعية وبين النشاط الاقتصادى والاجتماعى للانسان.

ثانياً: القائلون بأهمية الدراسة الجغرافية العامة

Systematic Studies

يرى الجغرافيون فى الولايات المتحدة أن الدراسة العامة فى الجغرافية أهم كثيراً من الدراسات الاقليمية من أجل العيوب التى شابت هذه الدراسة والتى سبقت الاشارة إليها.

ومن هؤلاء الجغرافين الأمريكان:

١- ايكرمان Ackerman وقد قدم بحثاً بهذا المعنى عام ١٩٤٥.

٢- شايفر Shaefer وقد قدم بحثاً بهذا المعنى عام ١٩٥٣.

٣- ألمان Ulman وقد قدم بحثاً بهذا المعنى عام ١٩٥٣.

ثم جاء عميد الجغرافيين فى الولايات المتحدة عام ١٩٥٩ هارتسهورن والذى سبق أن سجل فى مؤلفه الضخم «طبيعة الجغرافيا» عام ١٩٣٨ أن الدراسة الاقليمية لها الصدارة فى الدراسات الجغرافية وأن الدراسة العامة فى المقام الثانى بعد الدراسة الاقليمية لأن الدراسة الاقليمية هى التى تبرز الاختلافات على سطح الأرض وتعمل على دراسة أسباب هذه الاختلافات وأن هذا من أهم أهداف الدراسة الجغرافية - ثم غير رأيه فى بحث عنوانه "Perspecitve on the nature ofgeography" عام ١٩٥٩ نظرة فى طبيعة الجغرافية. عبر فيه عن صدارة الدراسة العامة Systematic فى الدراسة الجغرافية وأن الدراسة الاقليمية فى المقام الثانى وأن الدراسة الجغرافية بوجه عام تستخدم النوعين من الدراسة الشاملة والاقليمية.

والترجمة الحرفية لبعض ما جاء فى مقاله «نظرة فى طبيعة الجغرافية» ما يلى:

«إن الجغرافية تعنى البحث والوصف والتفسير للاختلافات من مكان إلى آخر على سطح الأرض (كسكن للانسان) وهذه الاضافة إلى ما سبق ذكره عام

١٩٣٨ من تعريف الجغرافية بأنها دراسة الاختلافات على سطح الأرض تعنى الكثير فهى تعنى الظاهرات البشرية أو الاقتصادية على سطح الأرض وليس سطح الأرض ذاته بمعنى دراسة الغطاء الحضارى القائم حاليا على سطح الأرض وتفسيره وتعليله والارتباط بين الظاهرات القائمة حاليـاً أى Cultural Landscape وهـــذا كل مـا يهم الجغـرافى أى لا يهم الجـغـرافى شكل سطح الأرض وأشكالها فهذا من صميم دراسة أخرى الدراسة الجيومورفولوجية كما لا يهمه أيضاً الكثير من الظاهرات الطبيعية الأخـرى.

ويرى Hartshorne أيضاً أن العوامل الطبيعية والبشرية لاتدرس منفصلة عن بعضها البعض وإلا رجع الحال إلى ما كان عليه من اقرار بحتمية البيئة الطبيعية Determinism.

هناك وجه اختلاف بين الجغرافين الأمريكان والبريطانيين بعد الخمسينات من هذا القرن فيما يتعلق بالجغرافية الطبيعية أى دراسة سطح الأرض والغلاف الجوى والمحيطات والنبات والحيوان. مثل هذه الدراسة فقدت أهميتها فى الولايات المتحدة وذلك نتيجة للمبالغة فى الحتم الجغرافى للبيئة الطبيعية السائدة فى النصف الأول من القرن العشرين فقد رغب علماء الجغرافية فى الولايات المتحدة التخلص من أية آثار للحتم الجغرافى والاتجاه إلى المذهب الامكانى بـأن يكون الانسان هو القوة الفعالة فى البيئة الطبيعية التى يعيش فيها فهو يتكيف معها وييسرها لخدمة أغراضه وهذا يتفق مع تعريف الجغرافـــية

بأنها Human ecology أو التبيؤ البشرى وصاحب هذا الاتجاه فى الولايات المتحدة ازالة الدراسات المناخية والبيولوجية (النبات والتربة والحيوان) من المناهج الجغرافية وأن يحل محلها مقدمة فى الجغرافية الطبيعية.

هذا العزوف الأمريكي عن الدراسات الطبيعية في الجغرافية لانجد له مثيلاً فى بريطانيا أودول غرب أوروبا. كما أن الدراسة الموضوعية أوالمنهجية Systematic studies أصبح لها الصدارة فى الدراسة الجغرافية فى هذه الدول.

ومما تجدر الاشارة إليه أن العلاقة بين الانسان والبيئة قد تغيرت تماماً بعد الثورة الصناعية والتقدم التكنولوجى الذى تعيشه الولايات المتحدة حالياً فلا عجب أن يتجه فلاسفة وعلماء الجغرافية إلى الابتعاد عن الجانب الطبيعى فى الجغرافية وتجاهله بعد أن أصبحت البيئة ليست شيئاً ثابتاً لايمكن تغييره أو أن للبيئة حواجز لايمكن تخطيها لانه أصبح كل شيئ فى البيئة الطبيعية يمكن تغييره عن طريق الثقافة والتكنولوجيا حتى أن فقر الانسان فى البيئة المدرية يمكن تغييره.

إلا أن دراسة المكان أو سطح الأرض لابد منه وأن علم الجغرافية هو علم دراسة سطح الأرض وما عليه من اختلافات ومن ظواهر مختلفة ومعرفة سبب هذا الاختلاف وأن أية ظاهرة على سطح الأرض سواء محلية أو عالمية التوزيع فلا بد أن تكون هذه الدراسة ضمن اطار مكانى محدد أو أقليم.

ولهذا فليس هناك تناقض فى المنهج الجغرافى سواء دراسة الظاهرة بشكلها العام Systematic أو دراسة هذه الظاهرة وترابطها مع الظاهرات الأخرى لتضفى على المنطقة سمة مميزة أى أقليمية Regional فالدراسة الأولى تحليلية والدراسة الثانية تكوينية أو بنائية.

لهذا كانت الدراسة الاقليمية Regional أو الدراسة العامة Systematic يحتاجهما البحث الجغرافى.

وهنا تجدر الاشارة إلى ما سبق ذكره فى أول ها البحث هل الفكر الجغرافى قسمة بين الاقليمية وبين الدراسة العامة واجابة هذا السؤال نقول أنه ليس هناك انقسام فى المنهج الجغرافى بين الدراستين.

اذن لابد من القول بأن الدراسة الاقليمية جانب أساسى فى البحث الجغرافى وكذلك الدراسة العامة أو المنهجية جانب أساسى فى البحث الجغرافى.

ففى الدراسة الأولى (الاقليمية) الأقليم هو المجال الذى تتيسر فيه ملاحظة ترابط الظاهرات مع بعضها وخلاله يمكن التعرف على مدى التشابه أو التباين الذى يسود سطح الأرض. كما أن الدراسة الاقليمية تجمع جدائل الدراسات العامة أو المنهجية من العلوم الأخرى وتجعلها وحدة تظهر فيها ادماج العناصر الطبيعية والبشرية من أجل اظهار شخصية الأقليم.

والدراسة الثانية فتتبع عند تناول ظاهرة معينة بالدراسة والتحليل بقصد تصنيفها والتعرف عليها ومعرفة توزيعها على سطح الأرض فان ذلك سيتم بطريقة جغرافية سليمة أيضاً وللباحث الجغرافى أن يختار بينهما وفقاً لما يقصده الباحث من دراسته.

ومما تجدر الاشارة إليه أن طرق البحث العلمى الجغرافى متعددة ومتطورة أيضاً مع الزمن.

تطور فلسفة طرق البحث الجغرافى

ما دامت الجغرافية تختص باعطاء الانسان وصفاً للعالم الذى يعيش فيه فان الجغرافيين المعاصرين يعانون كثيراً فى وصف هذاالعالم المعقد كما يصعب عليهم الاختيار بين الظاهرات المختلفة التى سيتولون شرحها وتفسيرها وتحليلها لأن أمامهم أن يختاروا بين ظاهرات اجتماعية واقتصادية وسياسية اضافة إلى البيئة الطبيعية وجميعها فى تغير مستمر وكان على الجغرافيين أن يسرعوا الخطا فى ابراز النظريات التى تصف هذا العالم المعقد.

إن تاريخ طرق البحث الجغرافى متغيرة خلال الأجيال السابقة من الجغرافيين الذين إجتهدوا فى تحديد ما يتطلبه البحث الجغرافى - ففى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

كان البحث الجغرافى يعتمد على المذهب الحتمى وتلا ذلك اعتماد الجغرافيين على المذهب الامكانى ثم ظهر مذهب وسط بين المذهبين السابقين

وهو المذهب الترجيحي أي أن البحث الجغرافي كان يتأرجح بين الحتمية الامكانية.

ثم جاء المذهب الاقليمي كعلاج الفكر الجغرافي الذي انحرف نحو الحتمية أو الامكانية أو الترجيحية. بأن ربط بين البيئة الطبيعية والانسان وجعل منهما مزيجاً واحداً. وكان ذلك ما نادى به المفكر الألماني هتنر Hettner. أما في فرنسا فقد قام فيدال دى لابلاش في بداية القرن العشرين بتقسيم فرنسا إلى أقاليم صغيرة سماها Les pays ودرس فيها البيئة الطبيعية والمجموعات البشرية التي سكنتها وربط بينهما لأن كليهما فعال وله أثر في الآخر Man- enviorenment interrelations وأن المظاهر المحلية في كل من هذه الأقاليم يختلف بعضها عن بعض – وقد انتشرت نظرية لابلاش هذه وتألقت خلال النصف الأول من القرن العشرين وخاصة في المجتمعات الزراعية التي تعتمد على الانتاج المحلي في معيشتها إذ يصبح هناك طعاماً ولباساً اقليمياً وهندسة اقليمية في المساكن وكانت نظرية لابلاش الاقليمية تصلح تماماً لدراسة الجماعات الزراعية.

ولكن بعد الانقلاب الصناعي وظهور وسائل النقل الحديثة السريعة قضى على الأنماط الاقليمية في المجتمعات البشرية. أما في المجتمعات الصناعية فانه يصعب ايجاد الروابط بين الانسان والبيئة الطبيعية التي يعيش فيها لأنها لم تكن شيئاً ثابتاً لايتغير أو أن لها حواجز لايمكن تخطيها فقد تغيرت عن طريق

التقدم الثقافي والتكنولوجي حتى أن البيئات الطبيعية فى المناطق المدارية التى عرف الانسان بفقره فيها قد تغير حالها بعد استخدام التكنولوجيا فى جنباتها فأمكن استغلالها إلى أقصى حد متاح.

إن الدراسة الاقليمية التى كان أساسها الأقليم الطبيعى وما يشتمل عليه من تركيب سطح الأرض وما على هذا السطح من تكوينات ثم المناخ والنبات وما على سطح الأرض من ظاهرات اقتصادية واجتماعية وتحليل الترابط بين الناحيتين الطبيعية والبشرية وبذلك تظهر شخصية الأقليم التى تميزه عن الأقاليم الأخرى.

كانت هذه الدراسة الاقليمية على أساس الأقليم لها الصدارة فى الدراسات الجغرافية وكانت الدراسة العامة Systematic فى المقام الثانى ولكن ما لبث الوضع أن تغير وأصبحت الدراسة الجغرافية تنصب على الغطاء الحضارى لسطح الأرض أو ما يسمى باللاندسكيب الحضارى Cultural Landscape هو الغطاء المنظور للاندسكيب والذى يتجمع فيه النشاط البشرى من جميع نواحيه Assemplages وهو أيضاً مظهر للتفاعل بين الانسان والبيئة More enviorenment interaction سواء فى انجلترا كما سبقت الاشارة إلى ذلك عند تقسم فلير Fleure لسطح الأرض إلى أقاليم على أساس وفرة الغذاء أو قلته أو فى الولايات المتحدة عندما قسم Whittlessey سطح الأرض إلى أقاليم على أساس زراعى.

إن هذه الدراسة الاقليمية القائمة حالياً لاتعتمد على أقليم طبيعى إذ لم تعد الأرض أوالمكان يؤخذ فى الحسبان. والضربة الأخرى التى أصابت الدراسة الاقليمية اضمحلال مكانتها فلم تعد كما كانت تشغل مركز الصدارة فى الدراسة الاقليمية بل تخلت عن مكانتها للدراسة العامة Systematic studies التى أصبحت تحتل مركز الصدارة فى الدراسة الجغرافية منذ الخمسينات من هذا القرن وخاصة فى الولايات المتحدة ويتضح هذا يقيناً من بحوث ايكرمان Ackerman عام ١٩٥٠ وبحوث شيفر Shaefer عام ١٩٥٥ وبحوث هارتسهورت Hartshorne عام ١٩٥٩.

وصاحب هذا التغير فى طرق البحث الجغرافى استخدام الاحصاءات فى الدراسة الجغرافية Statistical methods والتى أصبحت تمثل أهمية كبيرة فى هذه الدراسة - إن استخدام الطرق الاحصائية يفسر الكثير من العلاقات بين الظاهرات المتعددة والاختلافات المكانية مما يساعد على تفسير التكيف مع البيئة.

وقد استخدمت الطرق الاحصائية منذ منتصف الستينات من هذا القرن وقد انتشر استخدامها فى المشكلات الجغرافية لسببين رئيسين:

أ- أن الطرق الاحصائية تبرز الارتباط بين الظاهرات المختلفة وكأنها منحة من السماء Godsend مكنت الجغرافيين من النظر السليم إلى الحقائق الجغرافية. كما أن الدراسات الاحصائية تجعل من الجانب الطبيعى والجانب البشرى كلاً مترابطاً.

ب- الطرق الاحصائية جذبت الجغرافيين إليها لأنها تمكنهم من حل المشكلات التى تقابلهم. وهى الطريقة المثلى لدمج المجتمعات البشرية بالبيئات التى يعيشون فيها.

كما أن الطرق الاحصائية تجنب الباحثين السقطات التى قابلها الجغرافيون فى الماضى.

وإلى جانب استخدام الطرق الاحصائية فى البحث الجغرافى استخدام النماذج Models واستخدام الطرق الكمية Quantitative لتوضيح العلاقات الجغرافية للظاهرات بصورة علمية دقيقة.

ومن طرق البحث المعاصرة استخدام الادراك بعيد المدى Remote Sensing الذى تطور مع تقدم علوم الفضاء والذى أخذ يكتسب أهمية متزايدة فى البحث الجغرافى لأنه يسهل عملية الاطلاع على التباين للمساحات الواسعة من سطح الأرض وإلى جانب طرق البحث الحديثة التى سبقت الاشارة إليها استخدام الخرائط بأنواعها لتيسير ادراك التباين المكانى.

المذهب الانتقائى فى البحث الجغرافى

الجغرافية كوجهة نظر للباحث الجغرافية مجالها متسع جداً ويختلف من موضوع إلى آخر ومن زمن إلى آخر. لهذا كان على الباحث الجغرافى أن لايتقيد بطريقة معينة للبحث وألا يكون الجغرافى أسير طريقة معينة فى الماضى أو الحاضر بل عليه أن ينتقى من طرق البحث ما يناسب الموضوع

الذى يبحثه Eclectic سواء المذاهب القديمة للبحث أو المذاهب المعاصرة فهناك مثلاً من يبحث مدينة ما وهناك من يبحث فى موضوع السكان وهناك من يبحث فى مشكلة اجتماعية أو يبحث التخطيط المستقبلى للانتاج الزراعى أوالصناعى أو يبحث موضوعاً مشتركاً بين ظاهرة اجتماعية وطبيعية.

وهنا أتخير قولاً لأحد فلاسفة الجغرافية «يجب أن الاّ يكون الباحث الجغرافى سجيناً فى صومعة الفكر الجغرافى قديماً أو حديثاً. وإذا كان متخلفاً فى الفكر الجغرافى عليه أن يسرع الخطى قفزاً حتى يلحق بركب العلوم الحديثة».

مصادر البحث

(أ) المصادر الأجنبية

الكتب:

1- Ackerman, Edward, **Geography as a fundamental Research Discipline**. University of Chicago, Chicago, 1958.

2- Bernal, J.D., **Science in History**. Watts and Co. London, 1954

3- Chorley, Richard and Haggett, Peter (eds), **Frontiers in TeachingGeography**. Methuen and Co. 2nd, edition, London, 1970.

4- Dickinson, Robert, **The Makers of Modern Geography** Routledge and Kegan paul, London, 1970.

5- Feeman, T.W., **A Hundred years of Geograpty**. Gerald Duckworth and Co., London, 1965.

6-Haggett, peter, **Locational Analysis in Human Geography**. Edward Arnold, London, 1968.

7- Hartshorne, Richard, **The Noture of Geography**. Lancaster, Pennsylvania, 1939.

8- , Perspective on the Nature of Geography. John Murray, London, 961.

9- Harvey, David, **Explanation in Geography**. Edward Arnold, London, 1969.

10- James, Preston and Jones, Clarence (eds) **American Geography,** Inventory and Prospect. Syracuse Univ. Press, 1954.

11- Taylor, Griffith (ed), **Geography in The Twentieth Gentury**. 3rd. edition. Methuen, London, ·1957.

12- Wooldridge, S. and East, **W., The Spirit and purpose of Geography**. Hutchinson University Library, London, 1967.

المقـــالات

1- Borcherst, John R., **Remote Sensors and Geographical Science** (The Professional Geographer. Nov., 1968. pp. 371-375).

2- Crist, Raymond, Geography. (**The Professional Geographer**, Sept., 1969. pp. 305-307).

3- Cooke, R.U. and Harris, D.R., **Remote sensing of the Terrestrial Environment Prinaiples and Process.** (Institute of British Geographers. Transactions No. 50 1970. pp. 1-20)

4- **Geography**. The Encyclopaedia Britannica, 1956.

5- Henderson, H.C., **Geography's Balance sheet.** (Institute of British Geographers. Transactions No. 45. 1968. pp. 1-9)

6- Olson, Charles, **Accuracy of Land use Interpretion from Infrared Imagery in the 4.5 to 5.5 Micro Band** (The Annals of the AAG., VR. 57, No. 2June 1967 pp. 382-388)

7- Pounds, Norman, **Northwest Europe in the Nineth Century. Geography in the Light of the Polyptygues.** (The Annals of the AAG., Vol;. 57, No. 3, Sept,. 1967. pp. 439-461).

(٢) المصادر العربية

١- أغناطيوس يوليانوفتش كراتشوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافى العربى - جزءان. الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية. القاهرة - ١٩٦٣.

٢- المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم. مكتبة خياط - بيروت.

٣- ابن حوقل: صورة الأرض. دار مكتبة الحياة - بيروت.

٤- رحلة ابن بطوط. دار صادر - بيروت ١٩٦٤.

٥- مقدمة العلامة ابن خلدون - مطبعة الكتاب - بيروت.

٦- دكتور حسن طه نجم: دراسة فى الفكر الجغرافى - مجلة الأستاذ - المجلد الحادى عشر - بغداد ١٩٦٣.

(ملاحظة) اقتبس من هذه المجلة بعض الآراء عن الفكر الجغرافى فى هذا الكتيب.

أسئلة فى الفكر الجغرافى

١- من أول أفريقى ألف كتابا سماه الجغرافيا. وما هى أعماله التى أفادت الفكر الجغرافى؟

٢- اذكر ما تعرفه عن الفيلسوف الاغريقى Parmanides برمانيدس .

٣- أدرس مؤلفات استرابو الجغرافيه وأثر هذه المؤلفات فى أحياء الفكر الجغرافى الاغريقى؟

٤- أدرس هذه العبارة

«على الجغرافى أن يدرس أهمية الموقع والترابط بين مختلف الأماكن على سطح الأرض. سترابو»

٥- أدرس أثر بطليموس فى الفكر الجغرافى؟

٦- أدرس أثر رجال الدين فى الفكر الجغرافى؟

٧- كيف نما الفكر الجغرافى العربى؟

٨- اشرح هذه العبارة

«اختلف الفكر الجغرافى العربى من الفلسفة التى طبعت الفكر الجغرافى الاغريقى مبنىً ومعنىً »

٩- اذكر ما تعرفه عن

أ- المقدسى ب- الخوارزمى جـ- الفزارى Ghazari

١٠- كيف تمكن العرب من تطوير الفكر الجغرافى الاغريقى؟

١١- أدرس هذه العبارة

«استمر الفكر الجغرافى العربى مزدهراً خمسة قرون ثم آذن بالزوال»

١٢- اكتب عن كريمر Kremer وبرنارد فيرانيوس فى عصر الـ Renaissance عصر النهضة.

١٣- اذكر ما تعرفه عن:

أ- أثر الثورات العلمية فى أوروبا بعد عصر Veranius

ب- الفيلسوف كانت وأثره فى الفكر الجغرافى وما الذى أضعف أثره فى هذا الفكر.

١٤- قارن بين فلسفة كل من كارل ريتر والكسندر هامبولت بشكل موسع؟

١٥- أكتب فى أثر مؤلفات Charles Darwin فى الفكر الجغرافى .

١٦- The man is the product of the earths' surface

علق على هذه العبارة من دراستك للفيلسوف Ratzel ١٨٤٤/١٩٠٤ وتلميذته

١٧- أدرس وحدة الفكر الجغرافى وعلاقته بالأزدواجية فى الجغرافية.

١٨- اكتب فى المذاهب الفلسفية للبحث الجغرافى .

١٩- اكتب عن الانحرافات فى الفكر الجغرافى فى القرن التاسع عشر.

٢٠- أدرس ماذا يقصد بـ Landscape Geagraphy

٢١- قارن بين الدراسة الجغرافية العامة أو الشاملة Systematie والدراسة الاقليمية Regional

٢٢- قارن بين المدرسة الفرنسية والمدرسة الألمانية فى الفكر الجغرافى الذى اتخذه أو نماه كل منهما.

٢٣- اكتب عن الدراسة الاقليمية فى المدرسة الامريكية أو فى الولايات المتحدة.

٢٤- انقد هذا القول

«الفكر الجغرافى المعاصر قسمة بين الدراسة الاقليمية والدراسة العامة Systematie»

٢٥- اذكر ما تعرفه عن:

أ- بطليموس هو الخاتم للفكر الجغرافى فى العصر الكلاسيكى.

ب- بيرنارد فيرانيوس B. Varenieel هو الخاتم للفكر الجغرافى فى عصر النهضة

٢٦- أدرس تطور طرق البحث الجغرافى.

٢٧- قارن فلسفة الفكر الجغرافى لكل من همبولت وكارل ويتر وأثرهما فى وضع الفكر الجغرافى الحديث على قواعد علمية صحيحه

٢٨- اذكر ما تعرفه عن:

أ- الفرد هتنر Hettner وأثره فى الفكر الجغرافى.

ب- المدرسة الاقليمية الانجليزية.

جـ- خصائص الفكر الجغرافى المعاصر.

الناشر

مكتبة الانجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة